ثانياً
سورة الحشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ
أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن
يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ
يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ
وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ
فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ
أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ
أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ
مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ
شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ
يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ

۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي
صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌۚ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ
بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَـٰنِ وَلَا
تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى
ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ
لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ
إِنَّهُمۡ لَكَـٰذِبُونَ ۝١١ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن
نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١٢ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم
مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ۝١٣ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى
مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ۝١٤ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ
أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١٥ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَـٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَـٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ
قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ۝١٦ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي
ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝١٧ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٨ وَلَا

تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا
يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ لَوۡ
أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ
ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ
عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ
ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ
ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤

بين يَدَيِ التّفسير

(١)

((الله تعالى هو الّذي أَخْرَجَ يهود بني النَّضير من ديارهم وأخزاهم ولهم عذاب النّار))

الآيات (١-٥)

سبّح لله تعالى وأثنى عليه ونزّهه عن كلّ ما يليق به عزّ وجلّ كلّ ما في السّماوات وما في الأرض ومن في السّماوات ومن في الأرض من المؤمنين ، وهو العزيز في ملكه الحكيم في صنعه . الله تعالى هو الّذي أخرج الّذين كفروا برسالة محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم من أهل الكتاب وهم يهود بني النَّضير من ديارهم ومساكنهم في المدينة المنوّرة ، لأوّل الحشر إلى الشّام وخيبر . وقد كان الحشر الآخر على عهد عمر رضي الله تعالى عنه حينما أجلى يهود خيبر إلى الشّام[1] ما ظننتم أيّها المسلمون أن يخرج يهود بني النّضير من حصونهم ومساكنهم لِمَنَعَتِهِمْ وكثرة سلاحهم ، وظنّوا أنّهم مانعتهم حصونهم وآطامُهُمْ من الله تعالى الّذي دكّها دكّا . لقد أتاهم الله تعالى من حيث لم يحتسبوا ويتوقّعوا فخذّل عنهم حلفاءهم وأصدقاءهم ، وقذف في قلوبهم الرّعب وأشدّ الخوف الذي ملأ صدورهم وحطّم معنويّاتهم. لقد بلغت شدّة الخوف منهم شأواً بعيداً ، وهاهم أولاء يُخْرِبُون بيوتهم من الدّاخل حينما يُعْجِبُهُمْ فيها شيءٌ من بابٍ أو خشبٍ أو وَتدِ ، ولأنّهم يريدون أن يُفْسِدوها عل المسلمين فلا ينتفعون بها ، والمسلمون يفسدون تلك البيوت من الخارج كي يتّسع المَيْدانُ للقتال. فاعتبروا يا أولي البصائر النَّيِّرة بما

---

(١) الكشّاف ٣/ ٢١٣ . والمحرّر الوجيز ١٥/ ٤٦١ .

أنزل الله تعالى بيهود بني النّضير من عذاب ، واتّعظوا يا أولي العقول الرّاجحة بما حلّ بالقوم من نكال فأطيعوا الله تعالى وأطيعوا رسوله صلّى الله عليه وسلّم . ولولا أن فرض الله تعالى في أمّ الكتاب على يهود بني النّضير الجلاء من الوطن والتّحوّل إلى أرضٍ أخرى لعذّبهم في الحياة الدّنيا عذاباً شديداً بالقتل والأسر والسّبْي على غِرارِ ما حلّ ببني قُرَيْظة لاحقاً . ولهم في الآخرة عذاب النّار بعد خزي الدّنيا . ذلك الخزي في الدّنيا والعذاب في الآخرة بسبب أنّهم خالفوا الله تعالى وخالفوا رسوله صلّى الله عليه وسلّم . ومن يخالف الله تعالى فإنّ الله تعالى شديد العقاب ، يخزيه في الأولى ويعذّبه بالنّار في الآخرة . وإنّ مخالفة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم المبلّغ عن ربّه عزّ وجلّ مخالفةٌ لله تعالى على الحقيقة . ما قطعتم أيّها المسلمون من نخلٍ بأمر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم أو تركتموه قائماً على جُذُوره وسُوقِه فبإذن الله تعالى وعلمه كان هذا وذاك ، وليخزي الله تعالى يهود بني النّضير الفاسقين الخارجين عن الصّراط المستقيم .

(٢)

((حُكْم الفَيْء))

الآيات (٦-٧)

لمّا كانت المسافة قصيرةً بين المدينة المنوّرة ومساكن بني النّضير فقد كانت في حدود ميلين اثنين ، ومن ثمّ مشى المسلمون على الأقدام إليهم ولم يَخُثُّوا الخيل والإبل على الإسراع إليهم ، ولم يكن الحصول على أموال القوم عن طريق القتال فتكون غنيمةً للمسلمين ولكن عن طريق الصُّلْح فكانت فَيْئاً فقد جاء في السّورة الكريمة حُكْمُ الله تعالى في الفَيْء . إنّ الفَيْءَ من حقِّ الإمام يتصرّف فيه فيردّه على مصالح المسلمين على

نحو ما جاء في هذه السّورة الكريمة . بشأن أموال بني النّضير قَسَمَها النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم على الفقراء المهاجرين وَحْدَهُمْ دون الأنصار باستثناء شخصين اثنين بيّنا للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقرا . وقيل إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أخذ منها لنفسه قوت عياله .

وما أفاء الله تعالى وردّ على رسوله صلّى الله عليه وسلّم من أموال بني النّضير فما حثثتم أيّها المسلمون الخيل والإبل على الإسراع إليه والحصول عليه ، ولكنّ الله تعالى يسلّط رسله على من يشاء ، وقد سلّط حبيبه صلّى الله عليه وسلّم على بني النّضير وقذف في قلوبهم أشدّ الخوف والهَلَع . والله تعالى على كلّ شيءٍ قدير . ما ردّ الله تعالى على رسوله صلّى الله عليه وسلّم من أهل القرى العربيّة كَيَنْبُع وغير العربيّة كَفَدَك فلله تعالى ، ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم ، ولذي القربى من بني هاشم وبني المطّلب الّذين لا تجوز عليهم الزّكاة فَخَصَّهُمُ الله تعالى في المقابل بشيءٍ من الفَيْء ، واليتامى من أطفال المسلمين الفقراء ، ولفقراء المسلمين عموما ، ولابن السّبيل وهو المسافر في غير معصية المنقطع في الطّريق . جعل الله تعالى هذه المصارف لِلْفَيْء كيلا يكون المال متداولاً بين الأغنياء وَحْدَهُمْ يتصرّفون فيه . وَفْقَ أهوائهم . وما أعطاكم الرّسول من أوامر فخذوه وعَضُّوا عليه بالنّواجذ . وما نهاكم عنه فابتعدوا عنه ، واتّقوا الله تعالى وخافوه في السِّرِّ والعَلَن . إنّ الله تعالى شديد العقاب لمن عصاه جلّ وعلا وعصى رسوله صلّى الله عليه وسلّم .

(٣)

((ثَناء الله تعالى على المهاجرين والأنصار والتّابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين))

الآيات (٨–١٠)

جَعَلَ الله تعالى الفَيْءَ كذلك كيلا يكون المال متداولاً بين الأغنياء وَحْدَهُمْ ولكن يكون للفقراء المهاجرين السّابقين الأوّلين الّذين أُخْرِجُوا من ديارهم وأموالهم وهاجروا يبتغون فضلاً من الله تعالى ورضواناً منه جلّ وعلا عليهم ، وينصرون الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم بالسّيف واللّسان . أولئك هم الصّادقون حقّاً في إيمانهم .

والّذين سكنوا المدينة المنوّرة فأْبْتَنَوها منازل وأخلصوا الإيمان[1] وكأنّهم تبوّءوه وسكنوه لإلْفِهِمْ له وتمكّنه منهم من قبل هجرة المهاجرين إليهم وهم الأنصار يحبّون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حسداً ممّا أَعْطَى الرّسولُ صلَّ الله عليه وسلّم المهاجرين من أموال بني النّضير ، ويفضّلون المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم شديد حاجة لما آثروا به المهاجرين على أنفسهم . ومن وقاه الله تعالى شُحَّ نفسه ، وأَكْلَ أموال النّاس بالباطل ، وحِرْمانَ النّاس من حقوقهم ، فأولئك هم المفلحون حقاّ ، الفائزون صدقا .

والّذين جاءوا من بعد المهاجرين والأنصار من الّذين اتّبعوهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين يقولون ربّنا اغفر لنا ذنوبنا ولإخواننا الّذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا حقداً وبغضاً للّذين آمنوا . يا ربّنا إنّك شديد الرَّأفَةِ والرَّحْمَةِ بنا .

---

(١) الكشّاف ٣/ ٢١٦ .

(٤)

((مَثَلُ المنافقين واليهود إخوانهم كمثل الشّيطان والإنسان المخدوع به ، ومصير أعداء الإسلام دائماً وأبداً خِزْيُ الدّنيا وعذاب الآخرة))

الآيات (١١-١٧)

ألم تر يا محمّد بعين قلبك وتنظر إلى الّذين نافقوا يقولون لإخوانهم الّذين كفروا من أهل الكتاب من يهود بني النّضير لئن أُخْرِجْتُم من دياركم ومساكنكم لنخرجنّ معكم ، ولا نطيع في خِذْلانكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنّكم . والله تعالى يشهد إنّ المنافقين بقيادة شيخهم عبدالله بن أبيّ ابن سَلُول من الخزرج حلفاء بني النّضير في الجاهليّة لَكاذبُون . لئن أُخْرِجُوا لا يخرجون معهم من أرضهم ، ولئن قُوتِلُوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم على سبيل الافتراض لَيُوَلُّنَّ الأدبار ولَيَنْهَزِمُنَّ شرّ هزيمة . ثمّ لا ينصر الله تعالى يهود بني النّضير أبدا .

لأنتم أيّها المؤمنون أشدّ رهبةً في صدور المنافقين وكذلك في صدور اليهود من الله تعالى ، ذلك بسبب أنَّهم لا يفقهون عَظَمَةَ الله تعالى وحقَّه والواجبات عليهم لله تعالى .

لا يقاتلكم اليهود مجتمعين وكذلك المنافقون إخوانهم في الكفر ، إلاّ في قرىً محصّنةٍ محميّة ، أو من وراء جُدُر وحِيطان . عداوتهم بينهم شديدة . تظنّهم مجتمعين على قلب رجلٍ واحد ، والحقيقة أنّ قلوبهم متفرّقة ، والّذي وحّد صَفَّهم عداوتُهُمْ لكم . ذلك الجبن واختلاف الظّاهر والباطن بسبب أنّهم قومٌ ليس لديهم العقول الرّاجحة ، والأحلام الرّاسخة .

مثل يهود بني النّضير في عَمَى البصيرة كمثل الّذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمر نقضهم العهد مع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهم يهود بني قَيْنُقاع . لقد ذاقوا وبال أمرهم بالجلاء إلى الشّام وفنائهم ولهم في الآخرة عذابٌ أليمٌ ، في نار الجحيم ، بسبب كفرهم بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم النّبيّ الأمّيّ الّذي يجدون اسمه مكتوباً في التّوراة ونَعْتَه .

ومثل المنافقين ويهود بني النّضير الّذين غرّر بهم المنافقون كمثل الشّيطان الرّجيم الّذي غرّر بالإنسان وقال له اكفر بالله تعالى العظيم . فلمّا كفر الإنسان قال له الشّيطان الرّجيم : إنّي بريءٌ إلى الله تعالى من كفرك وإشراكك بالله تعالى سواه ! إنّي أخاف الله تعالى ربّ العالمين ، ربّي وربّ كلّ شيءٍ وحيّ ! لقد كان الخلود في نار الجحيم مصير الخادع والمخدوع . وذلك المصير جزاء الظّالمين المشركين في كلّ زمانٍ ومكان .

(٥)

((يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله تعالى الّذي أنزل القرآن الكريم الهادي إلى جنّات النّعيم ، واخْشَوُا الله تعالى الّذي له الأسماء الحُسْنَى))

الآيات (١٨-٢٤)

يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله تعالى وراقبوه في السّرّ والعَلَن ، ولتنظر كلّ نفسٍ ما قَدَّمَتْ ليوم القيامة القريب من الإنسان قرب الغد من اليوم ، واليوم من الأمس . واتّقوا الله تعالى وخافوه في السِّرِّ والعَلَن . إنّ الله تعالى خبيرٌ ببواطن ما تعملون ومن باب

الأحرى بظواهره . ولا تكونوا أيّها المؤمنون مِثْلَ الكافرين الّذين نَسُو حقّ الله تعالى عليهم فأنساهم الله تعالى حقوق أنفسهم عليهم . أولئك هم الفاسقون الخارجون عن الصّراط المستقيم . لا يستوي أصحابُ النّار من الكافرين والمنافقين والعاصين ، وأصحابُ الجنّة من المؤمنين الّذين يعملون الصّالحات المتّقين . أصحاب الجنّة هم الفائزون حقّا . أمّا الهادي إلى جنّات النّعيم فإنّه القرآن الكريم ، الّذي أوحاه الله تعالى إلى الرّسول العظيم محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم . إنّ هذا القرآن الكريم الّذي أنزله الله تعالى على واحِدٍ من البشر لو أنزله الله تعالى على جبلٍ من الصَّخْر الأَصَمّ ، ومَنَحَ الله تعالى هذا الجبل فهماً ثاقباً ، وعقلاً مُدْرِكاً ، وشعوراً مُرْهَفاً لرأيت هذا الجبل خاشعاً لله تعالى ، متشقّقاً من خشيته . فيكف لا يكون ذلك حال الإنسان الّذي خلقه الله تعالى في أحسن تقويم ، وصوّره فأحسن صورته ، وكرّمه بالعقل والإرادة ، وخصّه بالنعم الّتي لا تُعَدّ ، والآلاء الّتي لا تُحْصَى ! وتلك الأمثال يضربها الله تعالى في القرآن الكريم لعلّ النّاس يتفكّرون ويتدبّرون .

وإنّ الله تعالى الّذي ينبغي على الإنسان أن يخشع له ، والخشوع مزيجٌ من الرّجاء والخوف والإكبار ، له الأسماء الحُسْنى والصّفات العُلَى .

إنّه الله تعالى الّذي تُفْعَم القلوب بحبّه ، ويَفْزَعُ الخلق إليه في كل حوائجهم ، ويَضْرَعُون إليه فيما يُصيبُهمْ ، والّذي لا إله إلاّ هو ، ولا معبود بحقٍّ سواه ، عالم الغيب والشّهادة وكلّ ما غاب عن الخلق وشهدوه ، هو رحمن الدّنيا والآخرة ، الرّحيم بالمؤمنين رحمةً خاصّةً بهم .

إنّه هو الله الّذي لا إله إلاّ هو الملك الّذي بيده ملكوت كلّ شيء ، القُدُّوسُ المُطَهَّرُ من كلّ نقص ، السّلام السالم من كلّ عيب الّذي يجد الخلق عنده السّلام والأمن والطّمأنينة . المؤمن الّذي يأمن عباده المؤمنون يوم القيامة عذابه فلا يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأكبر بل يأمنون ويصدقهم وعده ، ولا أحد أصدق من الله تعالى وعداً وقِيلاً . المهيمن الّذي بيده ملكوت كلّ شيءٍ وحيّ الرّقيب الشّهيد الحافظ . العزيز في ملكه ، الغالب أعداءه ، الفعّال لما يريد . الجبّار الّذي يجبر الخلق على ما يشاء القهّار . المتكبّر الّذي لا يليق الكبرياء إلاّ به ، المتعالي عمّا لا يليق بجلاله وعظمته وسلطانه . سبحان الله تعالى وتَنَزَّهَ عمّا يشرك المشركون وعمّا ألحقه به الظّالمون ممّا لا يليق بجلاله وعظمته سبحانه .

هو الله تعالى الخالق كلّ شيءٍ ابتداءً ، البارئ كلّ شيءٍ على غير مثالٍ سابق ، المصوّر الّذي أحسن كلّ شيءٍ صَوَّرَه ، والّذي خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وصوّر النّاس فَأَحْسَنَ صُوَرَهُمْ . لله تعالى الأسماءُ الحُسْنَى الأحسن من كلّ الأسماء ، والصّفات العُلَى الأجمل من كلّ الصّفات . يسبّح لله تعالى ، ويُثْنِي عليه ، ويُنَزِّهُهُ عن كلّ ما يليق به ، كلّ ما في السّماوات والأرض . وهو العزيز في ملكه الحكيم في صنعه . وما أَشْبَهَ الشِّقَّ الثّانِيَ من الآية الكريمة الأخيرة في السّورة الكريمة بالآية الكريمة الأولى . قال عزّ من قائل : ﴿سبّح لله ما في السّماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ .

التّفسير

(١)

((الله تعالى هو الّذي أَخْرَجَ يَهُودَ بني النَّضِير من ديارهم وأَخْزاهُمْ ولهم عذابُ النّار))

الآيات (١-٥)

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١

سبّح لله تعالى وأَثْنَى عليه جلّ وعلا بما هو أهله ونَزَّهَهُ عن كلّ ما أَلْحَقَهُ به الظّالمون مما لا يليق بجلاله وعَظَمَتِهِ كُلُّ ما في السّماوات وما في الأرض ، وكلّ من في السّماوات ومن في الأرض . وهو جلّ وعلا العزيز في ملكه المُنْتَقِمُ من أعدائه ، الحكيم في صُنْعِهِ وتَقْدِيرِهِ وتدبيره وقضائه وفي كلّ شيء ، سبحانه .

---

(١) سورة الأحزاب ٤ .

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢

هو الّذي أخرج الّذين كفروا من أهل الكتاب : الله الّذي أخرج الّذين جحدوا نبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم من أهل الكتاب وهم يهود بني النّضير[1] .

من ديارهم : من مساكنهم في المدينة المنوّرة[2] بعد أن همّوا بقتل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الّذي ذَهَبَ إليهم في عددٍ من الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم يستعين بهم في دية قتيلين من بني عامر معهما عهدٌ عند رسول الله صلّى الله عيه وسلّم لم يعلم به قاتلهما الصّحابيّ عمرو بن أميّة الضّمريّ رضي الله تعالى عنه[3] وكان قد قتلهما ثأراً من بني عامر الّذين قتلوا أصحاب بئر مَعُونَة من القرّاء وعددهم سبعون وكلّهم من الأنصار[4] أوْحَى الله تعالى إلى حبيبه صلّى الله عليه وسلّم بما أراد اليهود من الغدر به فقام وخرج راجعاً إلى المدينة وأمر بالتّهيّوء لِحَرْبِهِمْ والسّير إليهم[5] وكان ذلك في شهر

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ١٩.

(٢) الجلالين .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٨/ ٨٣ والسّيرة النّبويّة ٣/ ١٩٥ .

(٤) انظر السّيرة النّبويّة ٣/ ١٩٤ وفتح الباري ٧/ ٣٨٥ حديث رقم ٤٠٨٨ و ٤٠٨٩ و٤٠٩٠ و٤٠٩١ وص ٣٨٦ حديث رقم ٤٠٩٢ وص ٣٨٨ حديث رقم ٤٠٩٣ وص ٣٨٩ حديث رقم ٤٠٩٤ و ٤٠٩٥ و ٤٠٩٦

(٥) انظر السّيرة النّبويّة ٣/ ٢٠٠ .

ربيع الأوّل[1] سنة أربع من الهجرة[2] فحاصرهم ستّ ليال[3] .

لأوّل الحشر : لأوّل الجمع في الدّنيا وذلك حشرهم إلى أرض الشّام[4] فقد ذهبت طائفةٌ منهم إلى أَذْرِعات من أعالي الشّام ، وهي أرض المحشر والمنشر . ومنهم طائفة ذَهَبَتْ إلى خيبر[5] .

فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا : فأتاهم أمر الله من حيث لم يحتسبوا أنّه يأتيهم ، بأن قذف في قلوبهم الرّعب بنزول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بهم في أصحابه[6] .

وقذف في قلوبهم الرّعب : الخوف والهلع والجزع[7] .

يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين : جعلوا يخربونها من أجوافها وجعل المؤمنون يخربون من ظاهرها[8] وقد خَذَلَهُمْ إخوانهم المنافقون فسألوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُجْلِيهم ويكفّ عن دمائهم ، على أنّ لهم ما حَمَلَت الإبل من أموالهم إلاّ السّلاح[9] فكان الواحد منهم يهدم بيته من أجل خشبةٍ أعجبته أو عمود أو بابٍ أو وَتِد[10] وما إلى ذلك .

---

(١) السّيرة النّبويّة ٣/ ٢٠٠ .
(٢) السّيرة النّبويّة ٣/ ١٩٩ .
(٣) السّيرة النّبويّة ٣/ ٢٠٠ .
(٤) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٠ .
(٥) تفسير ابن كثير ٨/ ٨١ وتفسير الطّبري ٢٨/ ١٩ والسّيرة النّبويّة ٣/ ٢٠١ .
(٦) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٠ .
(٧) تفسير ابن كثير ٨/ ٨٤ .
(٨) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٠ .
(٩) السّيرة النّبويّة ٣/ ٢٠١ وتفسير ابن كثير ٨/ ٨٥ .
(١٠) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٠ و ٢١ .

الله تعالى هو الّذي أخرج الّذين جحدوا نبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم من أهل الكتاب وهو يهود بني النَّضير من دورهم ومساكنهم بالمدينة المنوّرة لأوّل الحشر إلى أرض الشّام وخيبر ، لأنّهم نَقَضُوا عهدهم مع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهَمُّوا بقتله فنجّاه الله تعالى منهم بأن أَوْحَى إليه بما أرادوا فرجع صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة المنوّرة وأعلن الحرب عليهم . استمرّ حصار النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليهود بني النّضير ستّ ليال ، نزلوا بعدها على حكمه عليه الصّلاة والسّلام بأن يَحْقِنَ دماءهم ويُجْلِيَهُمْ على أنّ لهم ما حَمَلَت الإبل إلاّ السّلاح . ما ظننتم أيّها المؤمنون أن يخرج يهود بني النّضير من ديارهم ، وظنّو أنّهم مانعتهم حصونهم المنيعة وآطامهم الرّفيعة من عذاب الله تعالى ، فأتاهم الله تعالى من حيث لم يحتسبوا ولم يتوقّعوا . لقد قذف الله تعالى في قلوبهم أشدّ الخوف والهَلَع والجزع . والمعروف أنّ ممّا خصّ الله تعالى به حبيبه صلّى الله عليه وسلّم النَّصر بالرّعب من مسيرة شهر[1] .

إنّ يهود بني النّضير يُخْرِبُون بيوتهم بأيديهم في أثناء الحرب وبعد أن حَقَنَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دماءهم وأمرهم بالجلاء ، فكان الواحد منهم يَهْدِمُ بيته من أجل ما أعجبه في ذلك البيت من خشبٍ أو عمودٍ أو وَتِدٍ أو بابٍ وما إلى ذلك . وإنّ المؤمنين يُخْرِبُون كذلك بيوت اليهود في أثناء الحصار ليتّسع الميدان للقتال . وهكذا خُرِّبَت البيوت من الدّاخل ومن الخارج .

إنّ المطلوب من المؤمنين ومن ذوي البصائر النّيّرة أن يعتبروا ويتّعظوا بما حلّ بيهود بني النّضير من نَكال بسبب عصيانهم الله تعالى وكفرهم برسالة محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم .

(١) فتح الباري ٦/ ١٢٨ حديث رقم ٢٩٧٧ و ١/ ٤٣٦ حديث رقم ٣٣٥ .

ويصحّ أن يكون حشر اليهود وإجلاؤهم لاحقاً هو الّذي تمّ في عهد عمر رضي الله تعالى عنه حينما أجلى يهود خيبر سنة عشرين للهجرة كما أجلى في تلك السّنة يهود نجران إلى الكوفة[1] وكان إجلاء عمر رضي الله تعالى عنه اليهود لأنّه رضي الله تعالى عنه بلغه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال في وجعه الّذي قبضه الله فيه : لا يجتمعنّ بجزيرة العرب دينان ففحص عمر ذلك حتّى بلغه الثَّبْت ، فأبقى من كان عنده عهدٌ من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأجلى من لم يكن عنده عهدٌ من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[2] وقد كثر إيذاء يهود خيبر للمسلمين ، وهذا سببٌ آخر لإجْلائِهِمْ[3] .

وكان يهود خيبر سألوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُعامِلَهُمْ في الأموال على النِّصْفِ فصالحهم على ذلك وقال لهم : "على أنا إذا شئنَا أن نُخْرِجَكُمْ أَخْرجْناكم"[4] .

---

(١) تاريخ ابن الأثير حوادث سنة عشرين ٢/ ٥٦٩ و ٥٧٠ .

(٢) السّيرة النّبويّة ٣/ ٣٧١ وانظر المحرّر الوجيزه ١/ ٤٦١ والكشّاف ٣/ ٢١٣ .

(٣) السّيرة النّبويّة ٣/ ٣٧٢ .

(٤) السّيرة النّبويّة ٣/ ٣٥٢ و ٣٧٢ وانظر صحيح البخاري ٩/ ١٣١ . وفتح الباري ١٣/ ٣١٤ حديث رقم ٧٣٤٨ .

وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾

ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء : ولولا أن قضى الله في أمّ الكتاب على هؤلاء اليهود من بني النّضير الجلاء[١] وهو الخروج من الوطن[٢] والنّفي من ديارهم وأموالهم[٣] والخروج من أرضهم إلى أرضٍ أخرى[٤] .

لعذّبهم في الدّنيا : بالقتل والسّبي[٥] والأسر

ذلك بأنّهم شاقّوا الله ورسوله : خالفوا الله ورسوله[٦] .

ولولا أن كتب الله سبحانه وتعالى وقضى في أمّ الكتاب على يهود بني النّضير الخروج من ديارهم وأموالهم لعذّبهم في الدّنيا بالقتل والأسر والسّبي على نحو ما حلّ بيهود بني قريظة مثلاً . ولهم مع خِزْي الدّنيا عذابُ النّار في الآخرة .

ذلك الخزي في الدّنيا والعذاب في الآخرة بسبب أنّهم خالفوا الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم ، وكانوا في شِقٍّ وجانبٍ مخالفٍ لله تعالى ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم . ومن يخالف الله تعالى فإنّ الله تعالى شديد العقاب . ومخالفة الله تعالى تَعْنِي كذلك مخالفة رسوله صلّى الله عليه وسلّم المبلّغ عن ربّه عزَّ وجلّ .

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢١ .
(٢) الجلالين .
(٣) تفسير ابن كثير ٨/ ٨٥ .
(٤) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢١ .
(٥) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢١ و ٢٢ .
(٦) الجلالين .

مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا
قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ۝٥

من لينة : من نخلة[١]وهي بلُغَةِ الأوس[٢] ومن العلماء من ذهب إلى أنّ المراد ألوان النّخل كلّها إلاّ العَجْوَة[٣] عن ابن عبّاس قال : أمر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بقطع النّخل كلّه ذلك اليوم . يعني يوم بني النّضير إلاّ العَجْوَة .قال ابن عبّاس : فكلّ شيءٍ من النّخل سوى العَجْوة هو اللّين[٤] وجاء في السّيرة النّبويّة[٥] : "فتحصّنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقطع النّخيل والتّحريق فيها فنادوه: أن يا محمّد ، قد كنت تنهي عن الفساد وتَعِيبُهُ على من صنعه ، فما بال قطع النّخل وتحريقها" فأنزل الله هذه الآية فأخبرهم أنّ ما قَطَع من ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أو تَرَكَ فعن أمر الله فَعَل[٦] .

ما قطعتم أيّها المؤمنون بأمر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من نخلٍ وأحرقتم ، أو تركتم من نخلٍ قائمٍ على أصوله وسُوقِه فبإذن الله تعالى ولِيُخْزِيَ الفاسقين من بني النّضير الخارجين عن الصّراط المستقيم ولِيَنْتَقِمَ منهم .

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٢ .
(٢) الإتقان ٢/ ١٢١ .
(٣) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٢ .
(٤) معاني القرآن للفرّاء ٣/ ١٤٤ .
(٥) ٣/ ٢٠٠ .
(٦) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٣ .

(٢)
((حكم الفَيْء))
الآيتان (٧ و ٨)

وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾

وما أفاء الله على رسوله منهم : الفَيْءُ يقال للغنيمة الّتي لا يلحق فيها مشقّة[1] والّذي ردّه الله على رسوله منهم ، يعني من أموال بني النّضير ، يقال منه : فاءَ الشّيء على فلان إذا رَجَعَ إليه . وأفَأْتُهُ أنا عليه إذا رَدَدتُهُ عليه[2] .

فما أوجفتم عليه : فما حرّكتم ولا أتعبتم في السّير[3] .

ولا ركاب : ولا إبلٍ[4] إنّما مَشَيْتُمْ إليها على أرجلكم . وكان بينها وبين المدينة ميلان ، فجعلها النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لِقَوْمٍ من المهاجرين ، كانوا محتاجين وشهدوا بدرا[5] فالفَيْءُ كُلُّ مالٍ أُخِذَ من الكفّار بغير قتالٍ ولا إيجاف خيلٍ ولا رِكَاب ، كأموال بني النّضير هذه[6] .

وما ردّ الله تعالى على رسوله صلّى الله عليه وسلّم من أموال بني النّضير فما حرّكتم عليه ولا أتعبتم في السّير إليه الخيل ولا الإبل بل سرتم إليهم مشياً على الأقدم ،

---

(١) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : "فيأ " ٢/ ٥٠٣ .
(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٤ .
(٣) السّيرة النّبويّة ٣/ ٢٠٣ .
(٤) الجلالين ومعاني القرآن للفرّاء ٣/ ١٤٤ وتفسير ابن كثير ٨/ ٦٠ .
(٥) معاني القرآن للفرّاء ٣/ ١٤٤ .
(٦) تفسير ابن كثير ٨/ ٦٠ .

ولكنّ الله سبحانه وتعالى يُسَلِّطُ رسله على من يشاء من النّاس انتقاماً منهم . والله سبحانه وتعالى على كلّ شيء قدير ، ولا يُسْأَلُ عمّا يفعل وهم يُسْألون .

وهكذا تُقرّرُ الآية الكريمة أنّ ما ردّ الله تعالى على رسوله صلّى الله عليه وسلّم من أموال الّذين لم يُوجِف المسلمون عليه بالخيل والإبل من الأعداء ممّا صالحوه عليه له خاصّة يعمل فيه بما يرى[1] ويَضَعُها حيث يشاء ، فقسّمها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار . إلاّ أنّ سَهْلَ بن حُنَيْف وأبا دجانة سِماك ابن خَرَشة ذكرا فقراً فأعطاهما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[2] وقد أخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منها لنفسه قُوتَ عِيالِه[3] عن عمر ﷺ قال : كانت أموال بني النّضير ممّا أفاء الله على رسوله صلّى الله عليه وسلّم ممّا لم يُوجِف المسلمون عليه بخيلٍ ولا ركاب . فكانت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم خاصّة ، يُنْفِقُ على أهله منها نَفَقَةَ سَنَتِه ، ثمّ يجعل مابقي في السِّلاح والكُراع عُدَّةً في سبيل الله[4] .

---

(١) انظر تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٥ .
(٢) السّيرة النّبويّة ٣/ ٢٠١ وانظر فتح الباري ٦/ ٢٢٧ حديث رقم ٣١٢٨ .
(٣) المحرّر الوجيز ١٥/ ٤٦٥ وانظر فتح الباري ٦/ ٢٢٧ .
(٤) فتح الباري ٨/ ٦٢٩ حديث رقم ٤٨٨٥ والكراع الخيل .

وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧

ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى : الّذي ردّ الله عزّ وجلّ على رسوله من أموال مشركي القرى[1] أي جميع البلدان الّتي تُفْتَحُ هكذا فحُكْمُها حُكْمُ أموال بني النّضير ، فهذه مصارفُ أموال الفَيْء ووُجوهُه[2] .

ولذي القربي: ولذي قرابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من بني هاشم وبنى المطّلب[3] .

واليتامى : أهل الحاجة من أطفال المسلمين الّذين لا مال لهم[4] .

والمساكين : الجامعون فاقةً وذُلَّ المسألة[5] .

وابن السّبيل : المنقطع بهم من المسافرين في غير مَعْصِية الله عزّ وجلّ[6] .

كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم : كيلا يكون متداولاً [7] . يقول جلّ ثناؤه :

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٥ .
(٢) تفسير ابن كثير ٨/ ٦٠ .
(٣) تفسير الطبري ٢٨/ ٢٦ .
(٤) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٦ .
(٥) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٦ .
(٦) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٦ .
(٧) الجلالين والجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٢/ ٣١٦ .

وَجَعَلْنا ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى لهذه الأصنفاف كيلا يكون ذلك الفَيْءُ دُولةً يَتَداوَلُهُ الأغنياء منكم بينهم ، يصرفه هذا مرّةً في حاجات نفسه، وهذا مرّةً في أبواب البرّ وسبل الخير ، فيجعلون ذلك حيث شاءوا ولكنّنا سننّا فيه سُنَّةً لا تُغَيَّر ولا تُبَدَّل[1] .

ما رَدَّ الله تعالى على رسوله صلّى الله عليه وسلّم من أموال مشركي القرى كالصّفراء ، ووادي القُرَى ، ويَنْبُع[2] فلله تعالى ، ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم ، ولذي القربى من بني هاشم وبني المطّلب ، وأهل الحاجة من يَتَامى أطفال المسلمين الّذين لا مال لهم ، والفقراء الّذين أسكنهم الفقر ، والمنقطع من المسافرين في غير مَعْصِيَةِ الله عزّ وجلّ . رَدَدْنا ذلك المال إلى تلك المصارف كيلا يكون المال مُتداوَلاً بين الأَغْنياء وَحْدَهم . وما آتاكم الرّسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأمركم بفعله فخذوه وائْتَمِرُوا بأمره . وما نهاكم عنه وأمركم بتركه فانتهوا عنه واتركوه . واتّقوا الله تعالى في السِّرِ والعلانية . إنّ الله شديد العقاب من أعدائه .

والمعروف أنّ الآية الكريمة الحادية والأربعين من سورة الأنفال تتحدّث عن مصارف الغنيمة الّتي تؤخذ عَنْوَةً ، وسَبَقَ دراسةُ الآية الكريمة[3] .

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٦ .
(٢) الجلالين والمحرّر الوجيز ١٥/ ٤٦٦ .
(٣) التّفسير البسيط ١٠/ ٢٧– ٣٠

(٣)
((ثَناءُ الله تعالى على المهاجرين والأنصار والتّابعين لهم بِإِحسانٍ إلى يوم الدِّين))
الآيات (٨ و ١٠)

لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾

للفقراء المهاجرين : كيلا يكون ما أفاء الله على رسوله دُولةً بين الأغنياء منكم ولكن يكون للفقراء المهاجرين[1] .

وينصرون الله : وينصرون دين الله الّذي بعث به رسوله محمّداً صلّى الله عليه وسلّم [2] .

جعل الله تعالى الفيء كذلك[3] كيلا يكون المال متداوَلاً بين الأغنياء وَحْدَهُمْ ولكن يكون للفقراء المهاجرين الّذين أَخرجهم المشركون من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله تعالى ورضواناً منه عليهم وينصرون دين الله تعالى وينصرون رسوله محمّداً صلّى الله عليه وسلّم . أولئك هم الصّادقون حقّاً ، الّذين صدقوا قولاً وفعلاً .

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٧ .
(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٧ .
(٣) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٢/ ٣١٥ .

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩

والّذين تبوّءوا الدّار والإيمان : والّذين اتّخذوا المدينة مدينة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم فابتنوها منازل والإيمان بالله ورسوله[١] .

يحبّون من هاجر إليهم : يحبّون من ترك منزله وانتقل إليهم من غيرهم . وعنى بذلك الأنصار ، يحبّون المهاجرين[٢]

حاجة : حسدا[٣]

ممّا أوتوا : ممّا أوتي المهاجرون من الفَيْء[٤]

خصاصة : حاجة وفاقة[٥]

ومن يوق شحّ نفسه : ومن وقاه الله شحّ نفسه[٦] والشّحّ في هذا الموضع في رأي العلماء إنّما هو أكل أموال النّاس بغير حقّ[٧] وقد فسّر ابن مسعود رضي الله تعالى عنه

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٧

(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٧ .

(٣) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٨ .

(٤) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٨ .

(٥) تفسير الطّبر ٢٨/ ٢٨ وانظر المحرّر الوجيز ١٥/ ٤٧٠ .

(٦) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٨ .

(٧) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٩ .

لرجلٍ سأله عن الشّحّ في هذا الموضع من القرآن الكريم بالقول : إنّما الشّحّ أن تأكل مال أخيك ظلما[1] .

فأولئك هم المفلحون : من وقي شحّ نفسه فلم يأخذ من الحرام شيئاً ولم يَقْرَبه ولم يدعه الشّحّ أن يحبس من الحلال شيئاً فهو من المفلحين [2].

والّذين اتّخذوا المدينة المنوّرة سكناً ، وابتنوها منازل ، وأَلِفوا الإيمان[3] بالله تعالى وبرسوله صلّى الله عليه وسلّم من قَبْلِ المهاجِرين ، وهم الأنصار ، يحبّون من هاجر إليهم وَانْتقَلَ إلى المدينة المنوّرة لاحقاً ، ولا يجدون في صدورهم حسداً ممّا أعطاهم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من الفَيْء ، ويؤثرون المهاجرين على أنفسهم ويخصّونهم بالفضل ولو كان بهم فاقةٌ وشدّة حاجة . ومَنْ وقاه الله تعالى شحّ نفسه فلم يأكل حراماً ، ولم يمنع الآخرين حقوقهم ، بل قنِعَتْ نفسه بالحلال ، وسَمَحَتْ بإعطاء أصحاب الحقوق حقوقهم فأولئك هم المفلحون حقّا ، الفائزون صِدقاً . وتلك هي بعض نعوت الأنصار بنصّ القرآن الكريم .

وإليك هذا المثال على إيثار الأنصار الآخرين على أنفسهم . رَوَى البخاريّ في صحيحه[4] عن أبي هريرة ﷺ أنّ رجلاً أتى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فبعث إلى نسائه فقلن : ما معنا إلاّ الماء . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : من يضمّ –أو يضيف– هذا ؟ فقال رجلٌ من الأنصار : أنا فانطلق به إلى امرأته فقال : أكرمي

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٩ .
(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣٠ .
(٣) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٢/ ٣١٨ .
(٤) فتح الباري ٧/ ١١٩ حديث رقم ٣٧٩٨ و ٨/ ٦٣١ حديث رقم ٤٨٨٩ .

ضيف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فقالت : ما عندنا إلاّ قوت صبياني . فقال هيّئ طعامك ، وأصبِحي سراجك[1] ونوّمي صبيانك إذا أرادوا عَشَاءً . فهيّأتْ طعامها ، وأصبحت سراجها ، ونوّمت صبيانها ، ثمّ قامت كأنّها تصلح سراجها فأطفأته ، فجعلا يُرِيانِهِ أنّهما يأكلان ، فباتا طاويين . فلمّا أصبح غدا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : ضَحِكَ الله اللّيلة –أو عجب– من فَعالكما . فأنزل الله : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ .

---

(١) أوقدي سراجك .

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠

غلاً : ضِغْناً[1] وحقداً[2] وبغضاً[3] .

والّذين جاءوا من بعد المهاجرين والأنصار وهم التّابعون لهم بإحسانٍ إلى يوم القيامة يدعون الله تعالى قائلين : ياربّنا اغفر لنا ولإخواننا في الدّين الّذين سبقونا بالإيمان بك وبرسولك صلّى الله عليه وسلّم وبما أَوْحَيْتَ به إليه. ولا تجعل يا ربّنا في قلوبنا حقداً للّذين آمنوا بك يا ربّنا وبحبيبك محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم . يا ربّنا إنّك عظيم الرّأفة والرّحمة بنا .

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣٠ .

(٢) الجلالين .

(٣) تفسير ابن كثير ٨/ ٩٩ .

(٤)

((مَثَلُ المنافقين واليهود إخوانهم كمثل الشّيطان والإنسان المخدوع به ، ومصير أعداء الإسلام دائماً وأبداً خزي الدّنيا وعذاب الآخرة))

الآيات (١١-١٧)

۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى
ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ
ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ
أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ
﴿١١﴾ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ
وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمۡ
أَشَدُّ رَهۡبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا
يَفۡقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ
مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ
شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ
ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ
مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي
ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾

ألم تر إلى الّذين نافقوا : ألم تنظر بعين قلبك يا محمّد فترى إلى الّذين نافقوا[1] عن ابن عبّاس يعني عبدالله بن أبيّ ابن سلول وأصحابه ومن كان منهم على مثل أمرهم[2] .

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣٠ .

(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣١ والسّيرة النّبويّة ٣/ ٢٠٤ .

يقولون لإخْوانهم الّذين كفروا من أهل الكتاب : عن ابن عبّاس يعني بَني النّضير[١] .

ولا نطيع فيكم أحداً أبدا : ولا نطيع أحداً سألنا خِذلانكم وترك نُصْرتكم[٢] .

ثمّ لا ينصرون : ثمّ لا ينصر الله بني النّضير على محمّد صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه بل يخذلهم[٣] وهذه بشارةٌ مستقلّةٌ بنفسها[٤] .

لأنتم أشدّ رهبةً في صدورهم من الله : لأنتم أيّها المؤمنون أشدّ رهبةً في صدور اليهود من بني النّضير من الله[٥] ويصحّ أن يكون الحديث هنا عن المنافقين[٦] كما يصحّ أن يشمل اليهود والمنافقين معاً[٧] .

ذلك بأنّهم قومٌ لا يفقهون : من أجل أنّهم قومٌ لا يفقهون قَدْرَ عظمة الله فهم لذلك يستخفّون بمعاصيه ولا يَرْهَبُون عقابه[٨] .

لا يقاتلونكم جميعاً إلاّ في قرى محصّنة : لا يقاتلكم هؤلاء اليهود من بني النّضير مجتمعين إلاّ في قرى محصّنة بالحصون[٩] .

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣١ .
(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣١ .
(٣) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣١ .
(٤) تفسير ابن كثير ٨/ ١٠٠ .
(٥) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣١ .
(٦) انظر الجلالين .
(٧) انظر المحرّر الوجيز ١٥/ ٤٧٣ .
(٨) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣١ .
(٩) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣١ .

أو من وراء جدر: أو من خلف حِيطان[١] ومفرد الجدر جدار[٢] ومفرد الجُدْران جَدْر[٣] .

بأسهم بينهم شديد : عداوة بعض هؤلاء الكفّار من اليهود بعضاً شديدة[٤] .

تحسبهم جميعاً : تظنّ المنافقين وأهل الكتاب مؤتلفين مجتمعة كلمتهم[٥] .

وقلوبهم شتّى: وقلوبهم مختلفة لمعاداة بعضهم بعضا[٦] عن مجاهد هم المنافقون وأهل الكتاب[٧] .

كمثل الّذين من قبلهم قريباً : مثلهم كمثل يهود بني قينقاع[٨] وهذا رأي ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما. وبنو قينقاع كانوا أوّل يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وحاربوا فيما بين بَدْرٍ وأُحُد[١٠] لقد أظهر يهود بني قينقاع العداوة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد أن نصره الله تعالى في غزوة بدرٍ الكبرى على قريش ، فجمعهم في سوق بني قينقاع بالمدينة المنوّرة وحذّرهم أن يَحِلَّ بهم مثلما حلّ بقبيلة قريش الّتي حاربت الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم ودعاهم إلى الإسلام.

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣١ .
(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : "جدر" ١١٦/١ .
(٣) المعجم الوسيط : "جدر" .
(٤) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣٢ .
(٥) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣٢ .
(٦) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣٢ .
(٧) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣٢ .
(٨) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣٢ .
(٩) السّيرة النّبويّة ٣/ ٢٠٤ وتفسير الطبري ٢٨/ ٣٢ وتفسير ابن كثير ٨/ ١٠١ والمحرّر الوجيز ٤٧٥/١٥ .
(١٠) السّيرة النّبويّة ٣/ ٥١ .

لقد كان ردّ القوم قبيحاً : "قالوا يا محمّد ، إنّك ترى أنّا قومك ! لايغرّنّك أنّك لقيت قوماً لا عِلْمَ لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة . إنّا والله لئن حاربناك لَتَعْلَمَنَّ أنا نحن النّاس"[1] فأنزل الله تعالى فيهم قوله عزّ من قائل في سورة آل عمران[2] : ﴿ قل للّذين كفروا ستُغْلَبون وتحشرون إلى جهنّم وبئس المهاد . قد كان لكم آية في فئتين التقتا . فئةٌ تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرةٌ يرونهم مثليهم رأي العين . والله يؤيّد بنصره من يشاء . إنّ في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار﴾ ثمّ آذى يهود بني قينقاع امرأةً مسلمةً كانت في سوقهم وكانوا صاغة ، وأرادوا منها أن تكشف وجهها فأبت فربط الصّائغ طرف ثوبها إلى ظهرها فلمّا قامت انكشفت عورتها فضحك اليهود وصاحت المرأة . فَقَتَلَ رجلٌ مسلمٌ ذلك الصّائغ اليهوديّ وقتل اليهود المسلم ، ووقع الشّرّ في السّوق بين المسلمين واليهود ونَبَذُوا العَهد إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فحاصرهم خمس عشرة ليلةً نزلوا إِثْرَها على حكمه صلّى الله عليه وسلّم . طلب شيخ المنافقين عبدالله ابن أبيّ ابن سلول من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أن يهبهم له ، فقد كانوا حلفاء الخزرج في الجاهليّة . بعد لأْيٍ وَهَبَ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يهود بني قينقاع لشيخ المنافقين ، ولم يكن لهم أَرَضُون إنّما كانوا صاغة . ثمّ ساروا إلى أَذْرِعات من أرض الشّام فلم يلبثوا إلاّ قليلاً حتّى هَلَكُوا[3]

كمثل الشّيطان إذ قال للإنسان اكفر : مثل المنافقين ويهود بني النَّضِير كمثل

---

(١) السّيرة النّبويّة ٣/ ٥٠ والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ١٣٧ .

(٢) الآيتان ١٢ و ١٣ .

(٣) انظر –مثلاً– السّيرة النّبويّة ٣/ ٥٠ – ٥٣ والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ١٣٧ و ١٣٨ حوادث سنة اثنتين من الهجرة .

الشّيطان الرّجيم الّذي يَغُرُّ الإنسان ويَخْدَعُهُ ثمّ يتخلّى عنه ويتبرّأ منه[1] .

فكان عاقبتهما أنّهما في النّار خالدين فيها : فكان عاقبة الأمر بالكفر والفاعل له المُغْوِي والغاوى النّار[2] .

ألم تر يا محمّد بعين قلبك إلى الّذين نافقوا يقولون لإخوانهم الّذين كفروا من أهل الكتاب من يهود بني النّضَير لئن أُخْرجتم من دياركم ومساكنكم لنخرجنّ معكم إلى حيث تذهبون ، ولا نطيع في التَّخَلِّي عنكم أحداً أبداً . وإن قوتلتم لننصرنّكم ضدّ من قاتلكم . والله تعالى الّذي لا تخفي عليه خافية يشهد أنّ المنافقين لكاذبون . لئن أُخرج يهود بني النّضير من ديارهم ومساكنهم لا يخرج المنافقون الكاذبون الجبناء معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم . ولو فُرض أنّهم نصروا اليهود لَيُوَلُّنّ الأدبار في المعركة وليُهْزَمُنَّ شرّ هزيمة . ثمّ لا يُنْصَر يهود بني النّضير في المستقبل مُطْلَقا . إنّ كلّ الّذي قرّره القرآن الكريم قد كان .

لأنتم أيّها المؤمنون أشدّ رهبةً في صدور كلٍّ من المنافقين واليهود من الله تعالى . ذلك الحال بسبب أنّهم قومٌ لا يفقهون قَدْرَ الله تعالى وحَقَّه وحِلْمَه وإمْهالَه وإلاّ لما كان الخوف من البشر بسبب عاجل العذاب والعقاب ، بأكثر من الخوف من ربّ البشر الّذي تَسْبِقُ رحمتُه عذابَه وغَضَبَه جلّ وعلا .

لا يقاتلونكم مجتمعين ، المنافقون واليهود ، اليهود على جهة الخصوص إلاّ في قُرىً محصَّنةٍ أو من وراء جُدُرٍ وحِيطان . بأسهم بينهم شديد ، وبُغْضُ بعضهم بعضاً أكيد .

---

(١) انظر –مثلاً– تفسير الطّبري ٢٨/ ٣٢ – ٣٤ وتفسير ابن كثير ٨/ ١٠١ و ١٠٢ والمحرّر الوجيز ١٥/ ٤٧٥ و ٤٧٦ والبحر المحيط ٨/ ٢٥٠ والكشّاف ٣/ ٢١٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ٨/ ١٠٢ والجلالين .

تَحْسَبُهُمْ أجمعين على قلب رجلٍ واحدٍ ، وتظنّهم في هيئة صفٍّ واحدٍ مرصوص . والحقيقة أنّ قلوبهم مختلفة أشدّ الاختلاف ، وصفوفهم متنافرة أشدّ التّنافر . ذلك الاختلاف بين المظهر والمخبر ، والتّناقض بين الظّاهر والباطن ، بسبب أنّهم قومٌ لا يعقلون ، فهم طائشو الأَحْلام خفيفو الأَوْزان . مَثَلُ يهود بني النّضير في مجال عمى البصيرة كمثل الّذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم ، ونالوا عقاب غدرهم ونقضهم العهد ، وهم يهود بني قَيْنُقاع الّذين حلّ بهم خزي الدّنيا بإجلاء الله تعالى لهم من ديارهم إلى أرض الشّام . ولهم في الآخرة عذابٌ أليم .

مَثَلُ المنافقين ويهود بني النّضير كمثل الشّيطان الرّجيم الّذي غَرَّرَ بالإنسان وخَدَعَه وقال له : اكفر بالله تعالى وأنا جارٌ لك وحاميك وناصرك . فلمّا كفر الإنسان قال الشّيطان الرّجيم إنّي أبرأ إلى الله تعالى منك ومن ارتكابك الذّنب الّذي لا يغفره الله تعالى وهو الشّرك . إنّي أخاف الله تعالى ربّ العالمين ! إنّ اليهود والإنسان المخدوع لا يعرف كلٌّ منهما الحقيقة إلاّ بعد فوات الأوان .

لقد كان الخلود في نار جهنّم عاقبة الخادع والمخدوع ، المتبوع والتّابع . وذلك الخلود في نار جهنّم جزاء كلّ الظّالمين الّذين أشركوا بالله تعالى سواه ، ولم يتّبعوا خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين ، محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم .

(٥)

((يا أيّها الّذين آمنوا اتَّقُوا الله تعالى الّذي أنزل القرآن الكريم الهادي إلى جنّات النّعيم ، واخْشَوُا الله تعالى الّذي له الأَسْماءُ الحُسْنَى))

الآيات (١٨-٢٤)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩

ولتنظر نفسٌ ما قدّمت لغد : عن قتادة : ما زال ربّكم يقرّب السّاعة حتّى جعلها كغد . وغدٌ يوم القيامة[1]

ولا تكونوا كالّذين نسوا الله : ولا تكونوا كالّذين تركوا أداء حقّ الله الّذي أوجبه عليهم[2] .

فأنساهم أنفسهم : فأنساهم الله حظوظ أنفسهم من الخيرات[3] .

يا أيّها الّذين آمنوا بالله تعالى وبرسوله صلّى الله عليه وسلّم اتّقوا الله تعالى حقّ تقاته بفعل الأوامر واجتناب النّواهي ، ولتنظر كلّ نفسٍ ما قدّمت ليوم القيامة القريب على الحقيقة كقرب الغد من اليوم ، واليوم من الأمس . واتّقوا الله تعالى حقّ تقواه . إنّ الله تعالى خبيرٌ بما تعملون ، فلا يخفى على الله تعالى شيءٌ في الأرض ولا في السّماء ، ويستوي في علم الله تعالى بواطن الأمور وظواهرها .

ولا تكونوا أيّها المؤمنون كالّذين تركوا أداءَ حقِّ الله تعالى فأنساهم حظوظ أنفسهم من الخيرات . أولئك الّذين تلك صفاتهم هم الفاسقون الخارجون عن الصّراط المستقيم .

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣٥ .
(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣٥ .
(٣) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣٥ .

لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

لا يستوي في حكم الله تعالى يوم القيامة أصحاب النّار وأصحاب الجنّة . أصحاب الجنّة هم الفائزون المفلحون الّذين أحياهم الله تعالى الحياة الطّيبة في الحياة الدّنيا . وفي المقابل هنالك أصحاب النّار الخاسرون يوم القيامة الّذين كانت حياتهم الأولى غير طيّبة على الحقيقة لأن الحياة الدّنيا متاعُ الغُرُور .

لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا
ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ
وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١

لو أنزلنا هذا القرآن الكريم ، على طَوْدٍ عظيم ، ومنحناه فهماً صحيحاً ، وفكراً مستقيما ، وقلباً سليماً ، لرأيته خاشعاً ذليلاً ، متصدّعاً متشقّقاً من خشية الله تعالى ، مُنْزِلِ الكتاب ، سريع الحساب ، معزّ المؤمنين الطائعين ، مذلّ الكافرين العاصين : انظر كيف يتفاعل الجبل الّذي تلك حاله مع القرآن الكريم الّذي ينزل عليه ويفهمه ، يتفكّر فيه ويتدبّره ، ويَتَبَلَّدُ إحساس الكثير من النّاس تُجاه القرآن الكريم رغم ما أكرمهم الله تعالى به من عقولٍ ، ولكنّها لا تفكّر ، وعيون ، ولكنّها لا تبصر ، وآذان ، ولكنّها لا تسمع سماع تدبّر . إنّ هؤلاء كالأنعام بل هم أضلّ .

وتلك الأمثال يضربها الله تعالى للنّاس لعلّهم يتفكّرون في معانيها ومراميها ويهتدون إلى الله تعالى .

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

هو الله الّذي لا إله إلاّ هو : الّذي يَتَصَدَّعُ من خشيته الجبل أيّها النّاس هو المعبود الّذي لا تنبغي العبادة والألوهيّة إلاّ له[١]

هو الرّحمن : رحمن الدّنيا والآخرة[٢]

الرّحيم : رحيمٌ بأهل الإيمان به[٣]

الملك : الّذي لا مَلِكَ فوقه ولا شَيْءَ إلاّ دونه[٤]

القدّوس : الطّاهر المنزّه عن العيوب والنّقائص . وفُعُّول بالضّمّ من أبنية المبالغة. وقد تفتح القاف وليس بالكثير[٥] والتَّقْدِيس والقُدُس بضمّ الدّال وسكونها : تنزيه الله تعالى[٦] .

---

(١) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣٦ .
(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣٦ .
(٣) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣٦ .
(٤) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣٦ .
(٥) لسان العرب : "قدس"
(٦) انظر لسان العرب : "قدس" .

السّلام : السّالم من العَيْب والنَّقْص والفَناء[١] .

المؤمن : المؤمن من أسماء الله تعالى الّذي وحّد نفسه بقوله[٣]: ﴿وإلهكم إلهٌ واحد﴾ وبقوله[٣] : ﴿ شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو ﴾ وقال ابن الأثير[٤] : "في أسماء الله تعالى : المؤمن . هو الّذي يَصْدُق عبادَه وعدَه ، فهو من الإيمان ، التّصديق . أو يؤمّنهم في القيامة من عذابه ، فهو من الأمان . والأمن ضدّ الخوف"

المهيمن : هو الرّقيب والشّاهد[٥] والشَّهيد[٦] والمصّدق[٧] والرّقيب من هَيْمَنَ يُهَيْمِنُ إذا كان رقيباً على الشّيء ، أي الشّهيد على عباده بأعمالهم[٨] .

العزيز : الشّديد في انتقامه ممّن انْتَقَمَ من أعدائه[٩] .

الجبّار : الّذي جبر خلقه على ما يشاء[١٠]

المتكبّر : عمّا لا يليق به[١١]

الخالق: هو الّذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة . وأصل الخلق التقدير[١٢]

---

(١) لسان العرب : "سلم" .
(٢) سورة البقرة ١٦٣ .
(٣) سورة آل عمران ١٨ .
(٤) النّهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٦٩ . وانظر لسان العرب : "أمن" .
(٥) النّهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ٢٧٥ وانظر لسان العرب : "همن" .
(٦) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣٦ .
(٧) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣٦ .
(٨) الجلالين .
(٩) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣٦ .
(١٠) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣٧ .
(١١) الجلالين .
(١٢) لسان العرب : "خلق" والنّهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٧٠ .

البارئ : هو الّذي خَلَقَ الخلق لا عن مثال[١] .

المصوّر : المصوّر خلقه كيف شاء وكيف يشاء[٢] .

له الأسماء الحُسْنى : الحُسْنى مؤنّث الأحسن[٣] عن أبي هريرة عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال : إن لله تسعة وتسعين اسماً ، مائةً إلاّ واحدا ، من أحصاها دخل الجنّة[٤] وفي بعض الرّوايات زيادة : وهو وترٌ يحبّ الوتر[٥] والوتر الفرد . ومعناه في حقِّ الله تعالى الواحد الّذي لا شريك له ولا نَظِير . ومعنى يحبّ الوتر تفضيل الوتر في الأعمال وكثيرٍ من الطّاعات . فجعل الصّلاة خمساً ، والطّهارة ثلاثاً ثلاثاً ، والطّواف سبعاً ، والسّعي سبعاً ، ورمي الجمار سبعاً ، وأيّام التّشريق ثلاثاً ، والاستنجاء ثلاثاً ، وكذا الأكفان. وفي الزّكاة خمسة أوسق ، وخمس أواق من الوَرِق ، ونِصابُ الإبِل وغير ذلك . وجعل كثيراً من عظيم مخلوقاته وِتْرا . منها السّماوات والأَرَضُون والبحار وأيّام الأسبوع وغير ذلك [٦] .

الله تعالى الّذي يتصدّع الجبل من خشيته هو الله تعالى الّذي تَمْتَلِئُ القلوب بِحُبِّه ، فتفيض بذكره اطمئنانا وإيماناً ويقينا ، لا إله إلاّ هو ، ولا معبود بحقٍّ سواه . عالم الغيب

---

(١) لسان العرب : "برأ" والنّهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٧٠ .
(٢) تفسير الطّبري ٢٨/ ٣٧ .
(٣) الجلالين .
(٤) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٦٣ حديث رقم ٢٦٧٧ وفتح الباري ١١/ ٢١٤ حديث رقم ٦٤١٠ .
(٥) فتح الباري ١١/ ٢١٤ حديث رقم ٦٤١٠ وانظر صحيح مسلم ٤/ ٢٠٦٢ و ٢٠٦٣ حديث رقم ٢٦٧٧ .
(٦) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٦٢ هامش رقم ٤ .

والشّهادة فلا يخفى عليه عزّ وجلّ شيءٌ يغيب عن خلقه ومن باب الأَحْرَى ما يشاهده الخلق . هو رحمن الدّنيا والآخرة ، وَسِعَتْ رحمته كلّ حَيٍّ وشَيْء ، الرّحيم بعباده المؤمنين رحمةً خاصّةً بهم . هو الله تعالى الّذي تَفِيضُ بباعث حبّه القلوب اطمئناناً وإيماناً ويقينا ، لا إله إلاّ هو ، ولا معبود بحقٍّ سواه ، الملك الّذي بيده ملكوت كلّ شيء ، القُدُّوس المطهَّر من كلّ نقص ، السّلام السّالم من كلّ عيب ، المؤمن الّذي يؤمّن عباده يوم القيامة من عذابه ، فلا يَحْزُنُهُم الفزع الأكبر بل يأمنون ، ويَصْدُق عباده وعده فلا أحد أصدق من الله تعالى وعداً وقِيلاً . المهيمن الرّقيب على كلّ حيّ . العزيز الغالب على أمره . الجبّار الّذي جَبَرَ خلقه على ما يشاء فلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ لعباده إلا به عزّ وجلّ . المتكبّر عمّا لا يليق به والّذي لا يليق الكبرياء إلاّ بعزّته وسلطانه . تنزّه الله تعالى عمّا أَلْحَقَهُ به الظّالمون المشركون ممّا لا يليق بجلاله وعظمته وكبريائه وسلطانه .

هو الله تعالى الخالق كلّ شيءٍ ابتداءً ، البارئ كلّ شيءٍ على غَيْرِ مِثالٍ سابق ، المصوّر كلّ شيء أكمل تصوير ، وأحسن صورة بنى آدم ، وخلقه في أحسن صورة وشكل وقَوام .

لله تعالى الأسماء الحُسْنى ، أجمل الأسماء وأحسنها ، ولله تعالى الصّفات العُلَى . يُسَبِّحُ لله تعالى كلّ ما في السّماوات والأرض ، ويُنَزِّهُهُ عن كلّ ما ألحقه به المشركون ممّا لا يليق بجلاله وعظمته ، ويُثْنِي عليه الخير كلّه . وهو جلَّ وعلا العزيز في ملكه ، الحكيم في صنعته سبحانه .

تعقيب

نودّ أن نشير في هيئة نقاط إلى بعض الأمور المتعلِّقة السّورة الكريمة :

١- سورة الحشر من المدنيّ من القرآن الكريم الّذي نزل على النّبيّ صلّى الله عليه وسلم بعد الهجرة[١] .

٢- عدد آيات السّورة الكريمة أربعٌ وعشرون آية . وعدد كلماتها أربعمائة وخمسٌ وأربعون كلمة . وعدد حروفها ألفٌ وخمسمائة وثلاثون حرفاً[٢] .

٣- نَزَلَتْ في بني النَّضير سُورَةُ الحَشْر بِأَسْرِها يذكر فيها ما أصابهم الله عزّ وجلّ به من نِقْمَتِه ، وما سلّط عليهم به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وما عمل به فيهم[٣] وكان جلاء بني النّضير إلى الشّام وخيبر سنة أربع من الهجرة . وأُولى القبائل اليهوديّة الّتي نَقَضَتْ عهدها مع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فحاصرها وأجلاها إلى الشّام بنو قَيْنُقاع . أمّا غزوة بني قُرَيْظَة فكانت سنة خَمْسٍ من الهجرة .

٤- بنو النَّضِير كانت قبيلةً عظيمةً من بني إسرائيل موازيةً في القدر والمنزلة لبني قُرَيْظَة . وكان يقال للقبيلتين الكاهِنان ، لأنّهما من ولد الكاهن بن هارون[٤] .

٥- عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عبّاس : سورة التّوبة ؟ قال : التّوبة . هي

---

(١) الإتقان ١/ ٤٣ والجلالين وتفسير ابن كثير ٨/ ٨١ وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٨/ ٢٩ وتفسير الطّبري ٢٨/ ٢٠ والمحرّر الوجيز ١٥/ ٤٥٩ والكشّاف ٣/ ٢١٢ والبحر المحيط ٨/ ٢٣٩ والسّيرة النّبويّة ٣/ ٢٠٢ وفتح الباري ٨/ ٦٢٩ حديث رقم ٤٨٨٢ .

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٨/ ٢٩ .

(٣) تفسير الطّبري ٢٨/ ٢٠ .

(٤) المحرّر الوجيز ١٥/ ٤٦٠ .

الفاضحة ، وما زالت تنزل ، ومنهم ، ومنهم ، حتّى ظنّوا أنّها لم تُبْقِ أحداً منهم إلاّ ذُكِرَ فيها . قال قلت : سورة الأنفال ؟ قال : نزلت في بدر . قال قلت : سورة الحشر؟ قال : نزلت في بني النّضير[1] وعن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عبّاس رضي الله عنهما : سورة الحشر ؟ قال : قل سورة بني النّضير[2] كأنّه كَرِهَ تسميتها بالحشر لئلاّ يظنّ أنّ المراد يوم القيامة ، وإنّما المراد به هنا إخراج بني النّضير[3] وقد نَصَّت الآية الكريمة الّثانية من السّورة الكريمة على الحشر الأوّل ليهود بني النّضير وإخراجهمْ إلى الشّام وخيبر .

٦- لسورة الحشر[4] اسمٌ آخر هو سورة بني النّضير[5] .

٧- تبدأ السّورة الكريمة وتنتهي بتقرير تسبيح ما في السّماوات وما في الأرض الله تعالى العزيز الحكيم .

٨- اشتملت السّورة الكريمة على الحكم في الفَيْء .

٩- في السّورة الكريمة ثناءٌ عاطرٌ على السّابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار ، وعلى التّابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين .

١٠-بيّنت السّورة الكريمة أنّ المنافقين إخوان كافري أهل الكتاب قولاً وعملاً ، وأنّ مثل المنافقين مع اليهود كَمَثَلِ الشّيطان مع الإنسان الّذي يغرّر به الشّيطان الرّجيم ويَخْدَعُه .

---

(١) فتح الباري ٨/ ٦٢٩ حديث رقم ٤٨٨٢ .
(٢) فتح الباري حديث رقم ٤٨٨٣ .
(٣) فتح الباري ٨/ ٦٢٩ .
(٤) الإتقان ١/ ٤٣ .
(٥) فتح الباري ٨/ ٦٢٩ حديث رقم ٤٨٨٣ .

١١–في السّورة الكريمة بيانٌ لتأثير القرآن الكريم في الجبل الأصمّ لو كان ذا عقل فكيف لا يتأثّر كثيرٌ من النّاس بهذا القرآن الكريم ولا يخشعون . جاء في الآية الكريمة الحادية والعشرين القول : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعا متصدّعاً من خشية الله . وتلك الأمثال نضربها للنّاس لعلّهم يتفكّرون﴾

١٢–في ختام السّورة الكريمة أكبر عدد من أسماء الله تعالى الحُسْنَى يجتمع في موضعٍ واحدٍ في القرآن الكريم .

١٣–تبيّن السّورة الكريمة جُبْنَ أعداء الله تعالى عن الوقوف أمام المسلمين وجهاً لوجه في مَيدانِ القتال ، لأنّهم جميعاً أحرص النّاس على حياة ، وبخاصّةٍ اليهود . وفي السّورة الكريمة العديد من مظاهر إعجاز القرآن الكريم في مجال الإنباء بالغيب .

١٤–نودّ أن نبيّن بإيجاز وَحْدَةَ السّورة الكريمة عُضْوِيّاً وَأخْذَ قضاياها بحُجَزِ بعض ، علماً بأنّا سبق أن تحدّثنا بين يدي التّفسير ضِمْناً عن هذه الوحدة في شيءٍ من التَّفصيل .

تبدأ السّورة الكريمة وتنتهي بتسبيح ما في السّماوات وما في الأرض الله تعالى العزيز في ملكه الحكيم في صنعه . ونستطيع أن نتبيّن هاتين الصّفتين في قضايا السّورة الكريمة . إنّ إخراج لله تعالى يهود بني النّضير من ديارهم وتسليط الله تعالى الرّسول صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين عليهم من مظاهر عزّة الله تعالى وحكمته . ومن مظاهر العزّة قذف الرّعب في قلوبهم ، وتخريب بيوتهم ، وإدخالهم نار جهنّم يوم القيامة . وبما أنّ المسلمين قد اسْتَوْلَوْ على أمْوال بني النّضير دون قتال فقد خَرَجَتْ من حيّز الغنيمة إلى حيّز الفَيْء . وقد بيّنت السّورة الكريم حكم الفي وهذا ممّا تختصّ به السّورة الكريمة. ولمّا كان

المهاجرون فقراء وكان من حقّ الإمام أن يتصرّف في الفَيْء فقد خصّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم فقراء المهاجرين بذلك الفَيْء . وقد أثنت السّورة الكريمة على المهاجرين ، والأنصار ، والتّابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين . وفي المقابل أعطت السّورة الكريمة الدّليل على أن الكفر مِلّةٌ واحدة . إنّ المنافقين أخوان الكافرين من يهود بني النّضير . وإن مثَل المنافقين الّذين خَدَعُوا اليهود فأوهموهم أنّهم معهم مهما تكن التّضحيات كمثل الشّيطان الرّجيم الّذي خَدَعَ الإنسان فأغواه ثمّ تَبَرَّأ منه . لقد كان الجلاء مصير كلٍّ من يهود بني قينقاع ويهود بني النّضير . وكما كان الخِزْي في الدّنيا من نصيب القوم كان عذاب النّار من نصيبهم بوم القيامة .

ويؤمر المؤمنون بأن يتّقوا الله تعالى ، ويعملوا بعمل أصحاب الجنّة ، ويخشوا الله تعالى الّذي أنزل القرآن الكريم كي يتدبّروه ويهتدوا بهديه . إنّ القرآن الكريم لو أنزله الله تعالى على جبلٍ لَخَشَع الجبل وتشقّق من خشية الله تعالى فكيف لا يخشع الإنسان لِذِكْر الله تعالى وما نزل من الحقّ .

وإنّ الله تعالى الّذي يخشع الجبل من خشيته ويتصدّع والّذي ينبغي على الإنسان أن يخشع من خشيته له الأسماءُ الحُسْنى والصِّفاتُ العُلَى . وإنّ الحشد من أسماء الله تعالى الحسنى في ختام السّورة الكريمة وذلك بأكثر من أيّ موضع آخر في القرآن الكريم يبيّن بعض نعوت الحقّ جلّ وعلا الّذي يستحقّ وحده دون سواه أن يُعْبَد ولا يُشْرَك به ، وأن يُشْكر فلا يُكْفَر .

وكما بدأت السّورة الكريمة بتنزيه الله تعالى العزيز الحكيم عن كلّ ما أَلْحَقَهُ به الظّالمون المشركون خُتِمَتْ السّورة . وهكذا يكون توافُقٌ وانسجام بين أوّل السّورة الكريمة وآخرها . وكما تجلّت عزّة الله تعالى في أثناء السّورة الكريمة تجلّت حكمته . وإنّ أسماء الله تعالى الحُسْنى في نهاية السّورة الكريمة تُعمّق صِفَتَيِ العِزّة والحِكْمَةِ اللّتين تَصْبِغان السّورة الكريمة بِلَوْنَيْهِما .

وهكذا تأخذ قضايا السّورة الكريمة برقاب بعض ، في نَسَقٍ بديع ، وترابطٍ محكم.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله ربّ العالمين .

مكّة المكرّمة
صبيحة يوم الأحد ١٤٢٣/٩/٢٦هـ
الموافق ٢٠٠٢/١٢/١م